# قراءة جديدة لنشيد الصحراء لامية العرب

عوريب كاظم مجيسر
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

**الملخص:**

الشنفري عمرو بن مالك الازدي من بني الحارث بن ربيعة شاعرٌ عرف بقصيدته لامية العرب نشيد الصحراء شغف آذان متلقيه وعزف على وترٍ ترنّمَ به خصومه قبل مريديه، بعدما استكشف عالمه الخاص الذي لم يبحْ من آل إليهم بسرهِ ولم يستطع خصمه أن ينال منه طالما هو بين من آل إليهم لذا عُدتُ إلى هذا النشيد لأستقريه وأقرأ ما يكمن فيه من جديدٍ لم يمر به غيري، فصار النشيد نشيجاً مرّةً وصرخة مرة ثانية وتمرداً مرة ثالثة واحتجاجاً وقسوة وصبراً لتحقيق المراد، وعساي أن أكون قد وفقت في قراءتي الجديدة بوصفي قد اجتهدتُ وليس للانسان إلا ما سعى وعلى الله التكلان.

**لامية العرب**

شكلت لامية العرب في الشعر العربي منعطفاً في المجرى والمبنى فالانسان في لامية العرب ظلّ لما يملك، تعلو مكانته مع السعة والثراء، وتدنو منزلته مع الفقر وضيق الحال، إن جفاء الفقير لفقره يحمله على الوحشة، وإن الازورار عن رأيه يفضي به إلى الشعور بالقرف، وكل هذه المشاعر التي يتعرض لها المرء إثر فقره تشعره بالانسحاق والعزلة المقيتة، والفردية الأليمة التي تثير فيه فيضاً من الهواجس المكره وغير قليل من المخاوف.

فالفقر يتعدى إطاره المحصور في الحاجة إلى مقومات المعيشة إلى معنى أخلاقي غير محمود يوازي السبة والعار فتعرضوا للمبتلى به كما تعرضوا لأولي المثالب [1].

ويظهر الشعراء العاقبة الاجتماعية المخيفة للفقر من خلال الموازنة التي يجرونها بين مكانة الغني ومكانة الفقير في ميزان المجتمع ومعياره في بيان الاقدار وبناء الاحكام، فالغني يحظى بالتجلة والمهابة. وخطؤه مستور وذنبه مغفور، وليس للفقير نصيب سوى

المهانة والذل، لاتطلبه عشيرته ولا تحترم رأيه ولا إرادته، ولا يسمع له قول، والناس يسرعون إلى نبذ من قلّ ماله أو رقت حاله، ويتبادرون إلى عقد أواصر المودة معه والتزلف إليه إذا ما أقبلت عليه الحياة كما تنبيء عنه التجارب، وتدلي به شواهد الأيام حين يستنطقها الذي يطالعنا بآثار الفقر الاجتماعية التي تسوغ للمرء الخوف منه [٢]:

**انبئت والأيام ذات تجارب ... وتبدي لك الايام ما أنت تعلمُ**
**بأن ثراء المال ينْفعُ ربَّهُ ... ويثني عليه الحمد وهو مذَمَّمُ**
**وإن قليل المال للمرءُ مفسدٌ ... يحزّ كما حزّ القطيعُ المجرْسمُ**
**يرى درجات المجد لا يستطعها ... ويقعدُ وسط القوم لا يتكلّمُ**

وحين يعد المال هو المحك في التمييز والمفاضلة تكون المقاييس الأخرى صغيرة واهية بل تكون ملغية في مجال التعامل الانساني، فالعبد يرقى إلى محل السيادة إذا كثر ماله، ولان عيشه، وابن العم مصدود عنه إذا قل ماله وذهب عنه رخاؤه، لا تجديه القرابة فتيلا، ولا تشفع له صلة الرّحم قدر قلامة، فقطع الارحام، ووصلها موكولان إلى الأموال وحدها؛ لذا إن حالة الصدود والاعراض التي يتعرض لها الفقير من الآخرين تجعله يتحسس الاخطار تحف به، والكوارث تنثال عليه حتى يصبح الفضاء على رحبه يضيق عليه، والارض على ترامي ارجائها تتضاءل أمام ناظريه، وكأنه يعيش في كنف مكان مغلق لا منفذ فيه للانطلاق منه أو التحرر من أسواره، إنه شعور المرء حين يستبد به الخوف فيرى في كل ثنية ما يتربص به وفي كل ناحية ما يعاديه، فضلاً عن مشاعر الحيرة والقلق، حينما تراوده فتضعه في موضع التأرجح بين الاقدام والاحجام، فلا تستجيب إرادته له لاتخاذ القرار الملائم على الرغم من امتلاك الحزم، فالحزم ينكفيء في حومة الحيرة التي تنتابه، والفزع الذي يعتقل مشيئته [٣]، وحين يتمكن الخوف من الانسان ينفض القرار من حوله فيضطر إلى خوض الصراع مع الزمن وحيداً دونما نصير أو معين، فيحزّ ذلك في نفسه ويكون الواقع عليه أشد مضاضة، إذا كان التخلي عنه من رهطه الأدنين الذين يبخلون عليه بالعون والتأييد ويحيطون عطاءهم- إذا أعطوا- بهالة من الفضل والمن[٤] وهم لا ينظرون إلى ما فيه من فضل وحلم وعقل، وما جدوى العقل في رهط يزن الرّجال بالمال، ويجعل العقل ظلاً تابعاً له يذهب بذهابه ويؤوب إذا آب، فالعزلة المفروضة على الفقر اجتماعياً موت وما قيمة الإنسان إذا عاش محتقراً منبوذاً من

مجتمعه، مجفواً من اقاربه، ينظرون إليه من علو، ويتحامون عشرته يؤثر غير جنسه على حياة تورد عليه التفاهة والضراعة لذلك انتفض الشنفري قائلاً (٥):

**أقيموا بني أُمي صدورَ مطيّكم فإنّي إلى قومٍ سواكم لأميلُ**
**فقد حُمّت الحاجات والليل مقمرٌ وشُدّت بطايّاتٍ مطايا وأرحلُ**
**وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذى وفيها لمن رام القِلى متعزّلُ**

الكلام في مطلع القصيدة له ثلاث دلالات الأولى في الفاء في (فإني) والثانية في (سوى) والثالثة في (أميل)، فأما الأولى ففيها تنبيه لما قبلها علة لما بعدها لذلك وقعت في جواب الطلب وعند ذلك تكون سببية، والفائدة تقوم مقام القرار، وأما الثانية فهي صفة لقوم. وأما الثالثة (أميل) على وزن (أفعل) ولم يكن المراد منها المفاضلة؛ لأنّ أميل هنا بمعنى فاعل ولم يكن الشنفري يفاضل بين القوم الذين قرر أن يكون منهم، لذلك استأنف بالفاء في فقد لتكون المعاني واضحة والصورة جلية لا تحتاج إلى تحليل وإنما هي اسقاط فرض لا غير، فالمتتبع حينما يمعن النظر يجد الموقف ليس المقصود منه الهجاء وإنما هو موقف سخرية وتهكم وإن كان بعض الدارسين يرى في هذا هجو لأن اللغة تختلف في الهجاء عن التهكم. والاساليب الفنية تتباين والصورة لا تتوائم، وقد استعان الشنفري في تقديم هذه الصورة التهكمية بكافة الأدوات الفنية اللغوية واستغلها استغلالاً حاذقاً ماهراً، يعرف اسرار ما لديه إمكانيات ما معه فيشج بوجهه ويصرف نظره بصيغة الاستهجان مع مد الألف والوقوف على الميم بالسكون مع تغيير النغمة الموسيقية مع رفع الصوت وأظهار ما يريد لا شك يصحب ذلك الصوت حركات في الوجه تنبيء عن الغرض وتعرب عن الفحوى وتتبين الصورة في نقل الاحساس والشكل وقد أجاد الشنفري فيها إيما إجادة ليترك إحساساً بالألم وقد نجح الشاعر في إيراد الصورة الفكهة التي تثير السخرية حينما قدم شبه الجملة (ولي) لأنه أخرج الشيء عن حده وجماله، وحاد عن طريق القصد ثم حاد إلى جهة يدركها قومه ثم يأتي بمن مال إليهم الشنفري وصار منهم ليثير الدهشة والرعب فضلاً عن العناء والعنت لأنه رأى تصعيد الموقف أكثر وقعاً في السخرية وأوجع في الهزء وليس له من عصبة تلتف به في هذا الموقف العصيب؛ لأن القسم واللام الموطئة له تجعلان العهد يخرج من حيز الاحتمال إلى مجال الواقع والمشاهدة ويزيد من

دلالة اللواحق اللغوية ليقطع السبيل أمام الشك ثم التخصيص والتحديد؛ ليكون المشهد محيطاً بكل عناصره كما في قوله [٦]:

**لعمرُك ما بالأرضِ ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقِل**
**ولي دونكم اهلون سيدٌ عملسٌ وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيال**
**هم الأهل لا مستودع السرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجانب بما جرَّ يخذلُ**

وفي هذه الحالة دون أدنى ريب يخيم الصمت، وعندئذ ينطلق صوت جديد فيه شيء من الغنة في (وكلٌّ) وامتداد نغمي للصوت القادم الذي توالى التنوين فيه بوصفه يضفي جرساً منغماً وترجيعاً موسيقياً مصاحباً في توزيع نادرٍ ليحدث التوازن النغمي حينما انتقل إلى (غير أنني) ليكون الايقاع منسجماً متكافئاً مع ما يريد في قوله [٧]:

**وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنني إذا عرضت أولى الطرائد أبسلُ**

فحينما حذف المضاف إليه أراد البيان المدرك لا التقرير لأنه أراد المضاف إليه بدلالة بقي حكم الاضافة وهو المقصود وأبسل لم يكن المراد به التفضيل أيضاً إنما أراد الديمومة ولا غرابة في ذلك لأنه في هذا التنوع الدلالي في بناء القصيدة لم يلجأ إليه لاقامة الوزن والحشو وإنما كان لغاية وغرضٍ ابتغاه الشنفري فأني بما يشاكله فالشاعر ينوء بثقل ما هو فيه ويجد الخلاص من أوزاره بالفرار منه إلى ما هو يظنّ به خيراً فالحاضر عنده وعاء لكل المعاني البغيضة الباعثة على الغثيان وهو مسبوق بما لا يأنس به، فالحاضر جحيم كاوية تقترن بالذّل والحرمان والشتات والخذلان بوصفه مملوء بمن تفزع النفس منهم يقابله مستقبل تستقر الحياة فيه لأنه سيطيب عيشه معهم وتطمئن نفسه لصحبتهم؛ لأنه أعلن بعد تأزم معاناته عن رفضه لمنطلق القبيلة نابذاً عشرتهم موليا وجهه صوب البراري نحو البديل المتمثل بعالم الحيوان المبرّأ من المثالب التي ألفها قومه وأعتادوا عليها، فعالمه الأثير الذي التجأ إليه وتآلف معه عالم كاتم للاسرار، لا يتوانى عند نجدة من يستغيث به، إن عمق شعوره بالاغتراب بين أهله وارتيابه فيهم جعلاه يؤكد توافقه مع انتمائه الجديد وصحبته الخالصة له بعيداً عن القلى محفوظاً من الأذى بوصفه غير ناسٍ إنضمامه إلى المثلث ((سيدٌ عملسٌ وارقط زهلولٌ وعرفاء جيألُ)) مبتهجاً لذا راح يفخر بسجاياه وصفاته الخاصة من شجاعة فائقة ومهارة في استخدام عدة الحرب

فضلاً عن سموّ الاخلاق، وهو إذ يذكر هذه السجايا والمزايا كأنما يشهرها سيفاً مصلتاً في وجوه ظالميه والواقفين وراء اغترابه [٨]:

وإن مدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكــن ... بــأعجلهم إذ أجشــعُ القــوم أعجــلُ [٩]
ومــا ذاك إلا بســطةٌ عــن تفضّــلٍ ... عليهم وكــان الافضــلَ المتفضّــلُ [١٠]
وإنّي كفاني فقدَ مــن لــيس جازيــاً ... بحســنى ولا فــي قربــه متعلــلُ
ثلاثــةُ أصــحابٍ فــؤادٌ مشــيعٌ ... وأبيض إصليت وصــفراء عيطــلُ [١١]
هتوفٌ من الملْــسِ المتــونِ تزينهــا ... رصائع قد نيطــت إليهــا ومحمــل [١٢]
إذا زلّ عنها الســهم حنّــت كأنّهــا ... مُــرَزَّاة عجلــى تــرن وتعــولُ [١٣]
ولســتُ بمهيــاف يُعشّــي ســوامه ... مجدعــةً ســبقانها وهــي بهــل [١٤]

لا ريب في أن المكان يقترن بالزمان ويتعانق معه، والاحساس بهما لا يتم إلا في الاحداث التي تقتضي زماناً يستوعبها، ومكاناً تقع فيه، فلا وجود لأحداث مجــردة مــن المكان، كما توجد أمكنة مجردة من الاحداث والزمن، لذلك فإن الامكنة التي تظهر علــى صفحة العمل الفني صور حبلى بمضامين التجربة النفسية للشاعر وموحية بدخيلة نفســه، ومعبرة عن واقع مأسي ومباهج، وليست حشواً يؤتى به دونما وظيفة أو عناء [١٥]، فحينما يأنس المرء أحداثاً مبهجة في مكان ما ينجذب إليه ويتشبث به، ويتبرم بالمكان ويستوحشه إذا غامت أجواؤه وساءت أحداثه، فالنفس الوحلة التي تحس خطراً تضيق بالمكان ويظــل صاحبها تحت وطأة الخوف والقلق، يرى كلَّ شيء فيه معادياً له متربصاً به، ساعياً إلــى كتم أنفاسه، فحياة الشنفرى فضاء واسع الأرجاء كثيرة المخاطر، عظيمة المخاوف بيد أن الشنفرى كان وثيق الارتباط شديد الصلة بها على الرغم مما كانت تثيره في طوايا نفســه من خشية ورهبة، كما ان موهبته كانت مطواعة سريعة الاســتجابة لوصــف مشــاهدها العاتية ومظاهرها القاسية التي كان يلونها برؤيته ويعكس عليها كوامن وجدانه [١٦] وكثيراً ما كان الشاعر يتخذ الفخر شاهداً على شجاعته الفذة في احتمال الظرف العصيب [١٧]:

ولا جبــاء أكهَــى مــربٍّ بعرســهِ ... يطالعهــا فــي شــأنه كيــف يفعــلُ [١٨]
ولا خــرق هيــق كــأن فــؤاده ... يظــلُّ بــه المكّــاءُ يعلــو ويســفِلُ [١٩]
ولا خــالف داريّــةٍ متغــزّلٍ ... يــروح ويغــدو داهنــاً يتكحَّــلُ [٢٠]
ولســت بعــلٍّ شــره دون خيــرهِ ... ألــف إذا مــا رعتــهُ اهتــاجَ أعــزلُ [٢١]

ولســـت بمحيـــار الظـــلام إذا انتحـــت هدى الهَوْجِل العسّـيف يهمـاء هوْجَـلُ[٢٢]
إذا الأمعـــز الصُّـــوَّان لاقـــى مناســـمي تطـــايرَ منـــه قـــادحٌ ومفلَّـــلُ [٢٣]
أديـــم مِطـــال الجـــوع حتـــى أميتـــه وأضرب عنه الـذّكرَ صـفحاً فأذهـلُ [٢٤]
واستفّ تـربَ الأرض كـيلا تـرى لـه علـيّ مـن الطّـولِ امـرؤٌ متطـوّلُ [٢٥]
ولولا اجتنـاب التَّـامْ لـم يُلْـقَ مَشْـرَبٌ يعـــاش بـــه إلا لـــديَّ ومأكـــلُ
ولكـــنّ نفســـاً حُـــرّة لا تقـــيم بـــي علـــى الـــذّأمِ إلا ريثمـــا أتحـــوّلُ
وأطوي على الخمص الحوايا كما أنْطـوتْ خيوطـــةُ مـــاريٍّ تغـــارُ وتفتـــل
واغدو على القـوت الزهيـد كمـا غـدا أزلُّ تهـــاداهُ التنـــائف أطحـــلُ [٢٦]

فذئب الشنفرى استرعى وجوده انتباه الشاعر، فوصفه كلما وجد صلة بينه وبـين الانسان في صفاته المادية والمعنوية، ولكن الغالب في الأمر هو إظهار الجانب المرهوب منه المتمثل بالضراوة وشدّة البأس، فاستقرت صورته المقرونة بالرعـب لاسـيما ذئـب الشنفرى الذي ذاع صيته في جرأته على بلوغ مآربه، واصرار على تنفيذ إرادته غير آبهٍ بشيء بوصفه جائعاً يوجب الحذر والانتباه إليه فهذا التصميم في معرض صوره، وحـين يكون الذئب غير مبالٍ يجعل منه موجباً للفجر الذي يبقى رهين الشاعر لتجد اسـتجابات عندَ متلقيها لتكشف عن خفايا النفس وإيصال المراد وتقديمه بأسـلوب مميـز فالالفـاظ والتراكيب في فخر الشنفرى تمثل استعياب الحال النفسية لتؤثر في المتلقي وتعظم شـأن المفتخر ليشعر بالعلو والرفعة ولاسيما لدى وصـفه مـا آل إليـه بالـدلالات المتعـددة والتفصيلات التي توجب التوسع لقبولها مفصلة ومجتمعة [٢٧]:

غدا طاويـا يسـتعرض الـرّيحَ هافيـاً يخوت بأذنـاب الشّـعَاب ويعسـلُ [٢٨]
فلمّا لواه القوت من حيث أمَّهُ مهلهلة شيْبُ دعـــا فأجابتـــه نظـــائر نُحّـــلُ [٢٩]
الوجـــــــوهِ كأنّهـــــــا قـــدَاحٌ بكفَّـــيْ ياسِـــرٍ تتقلقـــلُ [٣٠]
أو الخشـــرم المبعـــوث حثحـــث دبـــرَهُ محا بيضُ أرادهُـنَّ سـامٍ مُعسّـلُ [٣١]
مُهَرَّتَـــةٌ فـــوْهٌ كـــأنّ شـــدوقها شـــقوق العصـــيٍّ كالحـــاتٌ وبسَّـــلُ
فضـــجَّ وضـــجّتْ بـــالبَرَاحِ كأنهـــا وإيّـــاهُ نـــوح فـــوق عليـــاء ثكّـــلُ
واغضى وأغضت وأتسى وأتسـت بـه مراميل عزَّاهـا وعزّتـهُ مرمـلُ [٣٢]
شكا وشكت ثم أرعوى بعْـدُ وارعـوت وللصَّبْر إن لـم ينفـعِ الشـكْوُ أجمـلُ

وفـــاءَ وفـــاءت بـــادرات وكُلهـــا  علـــى نكـــظ ممـــا يكـــاتم مُجمـــلُ (٣٣)
وتشرب أساري القطـــا الكُـــدْرُ بعـــدَمَا  سرت قرَبـــاً احناؤهـــا تتصلصـــلُ (٣٤)
هَمَمْـــتُ وهمّـــت وابتـــدرْنا واســـدلت  وشـــمّر مِنّـــي فـــارطٌ متمهّـــلُ (٣٥)
فولّيـــت عنهـــا وهـــي تكبـــو لعقـــرِه  يباشـــرُهُ منهـــا ذُقُـــونٌ وأرجـــلٌ (٣٦)

فنجد الشنفرى حينما لجأ إلى التشبيه كشف عن بعدين منفصلين يوحي بهما النّص فإذا ما اقتطع من ابعاد التحديد تنجلي الغاية في محور البيت على الرّغم مـــن صـــيرورة الأمر، لذلك حينما كشف الشنفري النية واقتداره انجلت الغاية وبات الأمر بمعيار الاقتدار أمام البصيرة والبصر (٣٧):

كـــأنّ وغاهـــا حجرتيـــه وحولـــه  أضاميم مـــن سِـــفرِ القبائـــل نُـــزّلُ (٣٨)
توافيْنَ مـــن شـــتى إليـــه فضـــمّها  كما ضَـــمّ أذواد الاصـــاريم منهـــلُ (٣٩)
فعـــبّ غشاشـــاً ثُـــمَّ مـــرّت كأنّهـــا  مع الصّبحِ ركبٌ مِنْ أحاضة مجفـــلُ(٤٠)
وآلف وجه الأرض عنـــد افتراشـــها  بأهـــدأ تنبيـــهِ سناسِـــنُ قحَّـــلُ (٤١)
وأعْدِلُ منحوضـــاً كـــأن فصوصَـــهُ  كِعابٌ دحاها لاعـــب فهـــي مُثّـــلُ (٤٢)
فإن تبتـــئسْ بالشـــنفرى أمٌّ قســـطلٍ  فما اغتبطتْ بالشنفرى قبلُ اطـــولُ (٤٣)

فتلك المظاهر تعكس الاحاسيس على العين فتبدو من خلالها الرهبة التـــي تنتـــاب الخائف فعين المرء تنبيء عمّا في ضميره (٤٤)، والعين باب القلب فما كان في القلب ظهر في العين (٤٥) وهي قد تعبر عن الخوف الكامن بالنظر الفاتر إلى مصدر الخوف فلا تمتلئ في هذه الحالة بالرؤية التامة على النحو الذي يطالعنا به الشنفري (٤٦):

طريـــدُ جنايـــات تياســـرْنَ لحمَـــهُ  عقيرَتُـــــهُ لأيّهـــــا حُـــــمَّ أوّلُ
تنام إذا مـــا نـــام يقظـــى عيونُهـــا  حثاثـــاً إلـــى مكروهِـــهِ تتغلغـــلُ
وإلـــف هُمـــوم مـــا تّـــزال تعـــودُهُ  عيـــاداً كحُمّـــى الرّبـــع أو هـــي أثقـــلُ
إذا وردت اصـــدرتُها ثـــم إنّهـــا  تثوب فتأتي من تحيتُ ومـــن عـــلُ (٤٧)

وفي مواقف الشدّة وأوقات الفزع تتقلص المذاكير شأنها شأن الاجزاء الأخرى فقد جعل الشنفرى في معرض الفخر ساعة الشدة معياراً للرجال، محكاً لمعاداتهم بين شـــجاع مقدام، وجبان هياب، فالشجاع يظهر دائماً ولاسيما في أوقات المحن والشدائد، فيدلُّ بذلك

على أنه فارس لا يشقّ له غبار على نقيض من تذلك الجبان المرعوب كما في قول دريد بن الصمة [٤٨]:

**قد عَلِمَ القــوم أنّــي مــن ســراتِهمُ إذا تقلّــص فــي الــبطنِ المــذكيرُ**

لذلك ترى الشنفرى من المتمرسين في الحروب وفنونها يخوض غمارهــا بقلــب ثابت وقدم راسخة وصبر دؤوب كما في قوله [٤٩]:

ولذلك ظل الشنفري متشبثاً بما يثلج صدره وينظر إلى ما يمكن أن يكــون طــوع يديه وعليه اقتناص ما لا ينغصّ الحياة ويحقق المتعة ويحيل حياته إلى كيــان يخــوض غمار الصعاب فهو يجعل المستقبل غير متهيب لما يجهل تاركاً الاســباب الكفيلــة فــي استكناه الغد واسراره وبقيت الصورة المعبرة هي صورة الصبر تكسبه المقسوم، شرّاً كان أم خيراً[٥٠]:

**فإمّا تريْنِــي كآبنــةِ الرّمــل ضــاحياً علــى رقّــةٍ أحْفَــى ولا أتنَعَّــلُ [٥١]**
**فإنّي لمــولى الصّــبرِ أجتــاب بــزّهُ على مثلِ قلبِ السِّمعِ والحزمَ أفْعَــلُ[٥٢]**
**وأعْــدِمُ أحيانــاً وأغنــى وإنّمــا ينــال الغنــى ذو البعــدةِ المتبــذِّل [٥٣]**
**فــلا جَــزِعٌ مــن خَلَّــةٍ متكثِّــفٌ ولا مَــرِحٌ تحــت الغنَــى أتخيَّــلُ [٥٤]**
**ولا تزدهي الأجهــال حلمــي ولا أرى ســؤولاً باعقــاب الأقاويــل أنمــلُ [٥٥]**

((لا تستبعد النتائج التي تخطر في ذهن الشاعر ولا ذهن المتلقي حينما تكون غير متوقعة، لأن النفس تعشق الأفضل في كل شيء، وتستقر عند الأكثر طمأنينة وراحة، وأن المجهول يبقى مجهولاً حتى تتكشف معالمه وغيبياته، وتأتي الاخبار لا محالــة وتظهــر الحقائق))[٥٦] بوصفه مشهدا تزدحم الصورة التقريرية في رسمه وبث ما يــود بثــه فــي ارجائه هيئات مرئية وأصوات مسموعة، ومسرات محسوسة وآلام لاذعة، لأن المشــهد برمته يعكس لنا صراعاً دموياً، ويجتهد في أن ينال قصده ومرامه، ويسلّم قياده إلى شهوة النفس بوصفها عبئاً تنوء به ذاتية الشاعر، وتتعثر على اعتابه مشاعره ، ومع هذا فهــو يمضي إلى سبيله كسباً للعيش وتعبيراً عن مشاعره بين السائل والمسؤول وهذه الأخطار والمعاناة أمام التصدي والذود عن حياته ولكنّه يفصح عن تلك الليلة الليلاء [٥٧]:

وليلةٍ نحس يصطلي القوسَ ربُّها واقطعهُ اللاتي بها يتنبّلُ
دعستُ على غطشٍ وبغشٍ وصُحبتي سعارٌ وإرزيزٌ ووجرٌ وأفكُلُ (٥٨)
فأيمتُ نسواناً وأيتمت آلدَةً وعُدتُ كما أبدأتُ والليلُ أليلُ
وأصبح عني بالغميصاءِ جالساً فريقان مسؤولٌ وآخَرُ يسألُ (٥٩)
فقالوا لقد هرّت بليلٍ كُلابنا فقلنا أذئبٌ عَسّ أم عَسّ فُرْعلُ (٦٠)

إنّ محل الصحراء الناجم من انعدام المياه فيها شكّلَ خطراً رهيباً على حياة الإنسان والحيوان على حدٍ سواء، وقد حشدّت كل المفردات الدالة على جدبها، فهي كظهر الترس(٦١)، وصمقلة (٦٢) وغبراء صحراء (٦٣) كما أن حرّها اللاهي كان مصدراً لهاجس الخوف الذي ينتاب مرتاديها وقد صوّر الشنفرى هذا الحر المتوهج في عرض الصحراء على نحو أظهر فيه ضجر الحيوان على الرغم من اعتياده على المعيشة فيها ليفصح من خلال ذلك عن معاناته في اجتيازها (٦٤):

ويوم من الشّعْرَى يذوب لَوَ ابُهُ أفاعيه في رمضائه تتمَلْمَلُ (٦٥)
نصبتُ له وجهي ولا كِنَّ دونه ولا سِترَ إلا ألا تحمي المرعْبَلُ (٦٦)

وقد اتخذ الشنفرى التحدي لهذا الظرف الصعب المهول أمارة لمقدرته على تخطي المواقع وقهر الصعاب فصاغُ منه فخراً بوصفه ملاذاً عاصماً عصياً على الآخرين كما في قوله (٦٧):

ويركدْنَ بالآصالِ حولي كأنّني من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقَلُ(٦٨)

ومن خلال تجربة الشنفرى التي جسدتها لاميته بوصفها احساساً يؤكد عملية التذوق ليرتقي التصور الذهني المجرد أو ينقلب به إلى مستوى تخييلي مقنع. وتبدو أن تجربة الشنفرى المبدع وهو يصبّ في أفواه المتلقين حلاوة شعره بوصفها تجربة مريرة جعلته يعي سرّ هذا المرض الوبيل.

**الهوامش :**

[١]ينظر ديوان عروة بن الورد: ٧٩.

[٢]معجم الشعراء: ٣٥٧.

[٣]ينظر ديوان طرفة بن العبد: ١٥٩- ١٦٠.

[٤]ينظر شعر بكر بن وائل قبل الاسلام: ٣٤٥.

[٥]ديوانه: ٥٥.

[٦]ديوانه: ٥٥- ٥٦.

[٧]نفسه: ٥٦.

[٨]نفسه: ٥٦- ٥٨.

[٩]الجشع: الحرص.

[١٠]البسطة: السعة.

[١١]المشيع: الشجاع. الإصليت: السيف الصقيل المجرد من غمده، الصفراء: قوس نبع العيطل: القوية الطويلة العنق.

[١٢] هتوف: التي تصوت من الهتاف، المتون: الظهور والصلبة، الرصائع: الخرز التي تعلق على شيء لكي لا تصيبه العين، نيطت: علقت.

[١٣]زلّ: خرج، حنت: صوتت، والخين صوت الوتر، المرزأة: الكثير الرزايا والمصائب ترن وتعول: تصوت وتبكي بصوت مرتفع.

[١٤] المهياف: الذي يبعد بإبله من غير علم بالمكان فتعطش ابله وتمشي، والمهياف: سريع العطش، السقب: الذكر من ولد الناقة البهّل: المتروكة.

[١٥]خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجدة: ١٥٣.

[١٦]ينظر قراءة جديدة لشعرنا القديم: ٤٣.

[١٧]ديوانه: ٥٧- ٥٨.

[١٨]الجبأ: الجبان. الأكهى: الكدر الاخلاق. المرب: المقيم على امرأته لا يفارقها.

[١٩]الهيق: الظليم ذكر النعام. المطاء: طائر له صغير حسن.

[٢٠]الخالف: المتخلف عن الخير أو الذي لا خير فيه. الدارية: الذي لا يفارق داره.

[٢١]العل: الرجل المسن الصغير الجسم. الألف الذي لا يقوم للحرب ولا يضيف إما يلتف وينام. رعته: افزعته. اهتاج: اسرع من الخوف بحمق.

(٢٢) المحيار: المتحير. انتحت: اعترضت. الهوجل: الرجل الطويل الأحمق والهوجل آخر الفلاة. العسيف: الآخذ على غير الطريق. البهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها.

(٢٣) الامضر: المكان الصلب الكثير الحصى. الصّوان: الحجارة الملساء. المنسم: خف البعير. استعاره الشاعر لنفسه.

(٢٤) المطال: مأخوذ من المماطلة. اضرب عنه: اعرض عنه وأتركه. أذهل: انساهُ.

(٢٥) الازل: الذئب. نهاداه: أي كلّما خرج من مفازة تهديه لمفازة أخرى.
التنائف: الأرض القفار. اطحل: لونه كلون الطحال.

(٢٦) ديوانه: ٥٩- ٦٠.

(٢٧) هافياً: مسرعاً متمايلاً من شدة الجوع. يخوت: ينقض ويختطف. يعسل: يمر مرّاً سهلاً.

(٢٨) لواه: دفع. أمَّه: قصده. نحل: ضوامر.

(٢٩) القداح: جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصلُه. الياسر: المقامر.

(٣٠) الخشرم: رئيس النحل. دبره: جماعته. المحابيض: جمع المحبض وهو العود الذي يثير به النحل.

(٣١) اغضت: أدنت جفونها بعضها من بعض. اتسى: من الاسوة اقتدى أي حال كل واحد من هذه الذئاب كحال الأخر. مراميل: جمع مرمل وهو من نفذ زاده.

(٣٢) فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ: شدة الجوع. بكاتم: يكتم لا يظهر ما عنده.

(٣٣) اساري: جمع السؤر وهو البقية من الشراب في الإناء. القرب: ورد الماء. تتصلصل: تصوت ليبسها.

(٣٤) ابتدرنا: اسرعنا. فارط: متقدم.

(٣٥) العقر: مكان الساقي من الحوض ويكون فيع ما يتساقط من الدلو.

(٣٦) ديوانه: ٦١.

(٣٧) ينظر:

(٣٨) ونماها: اصواتها. حجرتيه: ناحيتيه والضمير يعود على العقر في البيت السابق: اضاميم: جمع إضمامه وهي القوم ينضم بعضهم إلى بعض يسفر: المسافرون.

(٣٩) توافيْنَ: جئنَ. أذواد: جمع ذود وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الابل. الإصاريم: جمع صرمة وهي القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

(٤٠)عبت: شربت الماء من غير مص كأنها تصبه في أجوافها صبّاً. غشاشاً: مستعجلة أحاضة: قبيلة من الأزد. مجفل: مسرع.

(٤١)تنبيه: ترفعه. السناسن: مغارز رؤوس الاضلاع. محل: جافة.

(٤٢) اعدل: أتوسد. منحوصاً: قليل اللحم. فصوصه: فواصله. الأعز: القليل الشعر. واللص الخائف.

(٤٣)القسطل: الغبار وأم قسطل: الحرب سميت بذلك لأنها تثير الغبار.

(٤٤)ينظر ديوان طرفة بن العبد: ق٦ ب٢٢٢/٦٧٤.

(٤٥)ينظر العقد الفريد: ١٧٩/٢.

(٤٦)ديوانه: ٦٢.

(٤٧)تحيتُ: تصغير تحت والتصغير أرد به قرب المسافة أكثر من تحت. ومن علُ: من الاعلى وكلا الطرفين مبنيان على الضّم.

(٤٨)ديوان دريد بن الصمة: ٢١٥.

(٤٩)ديوانه: ٦٢.

(٥٠)نفسه.

(٥١)ابنة الرمل: الحية. ضاحياً: بارزاً للقر والحر.

(٥٢)اجتاب: اقطع ولعله هنا بمعنى البس. البز: الثوب. السمع: ولد الذئب من الضبع. ينظر شرح لامية العرب: ٥٠.

(٥٣)البعدة: اسم للبعد ولعله يريد ذا الهمة اي بعيد الهمة ، المتبذل: الذي لا يبالي.

(٥٤)خلة: الحاجة. المتكثف: الذي يظهر حاجته للناس.

(٥٥)تزدهي: تستخف. الاجهال: جمع جهل. أنمل: أنم من النميمية. والنملة النميمة.

(٥٦)الحكمة في الشعر العربي قبل الاسلام دراسة تحليلية: ٩٨.

(٥٧)ديوانه: ٦٣.

(٥٨)الغطش: الظلام. البغش: المطر الخفيف. السعار: حر يجده الانسان في جوفه من شدة الجوع والبرد. ارزيز: من الارتزاز أي الثبوت أي يجمد في مكانه من شدة البرد. الوجر: الخوف. الأفكل: الرعدة.

(٥٩)الغميضاء: ما يخرج من العين. والغميصاء: النجوم. الجالس: اسم لنجد. ولعلها من الجلوس.

(٦٠)عس: طاف بالليل. الفرعل: ولد الضبع.

[٦١]ينظر ديوانه: ٦٤.

[٦٢]ينظر ديوان عبيد بن الابرص: ق٣٢ ت٨٥/١٣. وشرح ديوان زهير: ٢٤٧ و٢٦٥.

[٦٣]ينظر شرح ديوان زهير : ٢٤٧ و٢٦٥.

[٦٤]ديوانه: ٦٤.

[٦٥]الشعري: كوكب يطلع بعد الجوزاء. لوابه: لعابه.

[٦٦]الكن: الستر. الا تحمي : ضرب من البرود. المرعبل: المقطع الرقيق.

[٦٧]ديوانه: ٦٥.

[٦٨]يركدْنَ: يثبتن ويمكثنَ. الادفى: الذي طال قرنه جداً. ينتحي: يعتمد ويقصد. الكبح: عرض الجبل. الاعقل: الممتنع.

**المصادر والمراجع**


١- الحكمة في الشعر العربي قبل الاسلام دراسة تحليلية، الدكتور ابراهيم علي شكر، الطيف للطباعة بغداد/ ٢٠٠٨.

٢- خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، دراسة وتحليل ونقد، محمد صادق عبد الله، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.

٣- ديوان دريد بن الصمة الجشمي، جمع وتحقيق وشرح محمد خيري البقاعي، دار قتيبة، دمشق ١٩٨١م.

٤- ديوان الشنفرى، اعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته، الدكتور علي الجندي، دار الفكر العربي.

٦- ديوان عبيد بن الابرص، تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، مصر، ١٩٥٧.

٧- ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦.

٨- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، نسخة مصورة عن طبعة الدار الكتب ١٩٤٤، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

٩- شرح لامية العرب، لابي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق وتقديم الدكتور محمد خير الحلواني، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠- شعر بكر بن وائل قبل الاسلام، دراسة فنية تاريخية وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها، حميد أدم ثويني، رسالة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦.

١١- العقد الفريد، ابن عبد ربه احمد بن محمد الاندلسي، تحقيق سعيد العريان، دار الفكر، ١٩٤٠.

١٢- قراءة ثانية لشعرنا القديم، الدكتور مصطفى ناصف، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

١٣- معجم الشعراء، المرزباني، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

## Abstract

Al-Shanfary amro bin malik Al-Azadi from Bni Al-Harith Bin Rabiaa, is a famous poet, known for his poem Lamia Al-Arab Nasheed Al-Sahraa, he passioned the ears of his hearer and played on a sense which intoned by his foes before his supporters, after he had explored his own world, which his secret dose not permissible by those who kept this secrete . His foes could not defeat him as long as he is among his supporters. So, I came back to this NASHEED to settle in it, and read all the new that lays in it and not came by others. AL-Nasheed became at one time as a whimper, at second time as a revolt, protest, cruelty and patience to achieve the goals. I hope that I succeeded in my new reading because I did all this by my efforts, not for man, but what he strived and in Allah we trust.